

الصلات الاجتماعية والاقتصادية مع جنوب الصحراء الأفريقية قبل ظهور الإسلام

علي كسار غدير سلطان الغزالي قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة كربلاء

ملخص:

تشمل هذه الدراسة (الصلات الاجتماعية والاقتصادية مع جنوب الصحراء الأفريقية قبل ظهور الإسلام) حيث ان الحضارة قد نشأت وترعرعت وازدهرت على ضفاف الأنهار وأفريقيا كغيرها من القارات التي ظهرت فيها بواكير تلك الحضارة حول الأنهار . ولقد مارست الشعوب الأفريقية الزراعة وتدجين الحيوانات، وعرفت الصناعة وأهميتها والتجارة وطرقتها البرية والبحرية وأهميتها فضلاً عن معرفتهم للذهب والنحاس . ولقد تركز موضوع الدراسة بتلك المنطقة من أفريقيا على أهم الصلات القديمة في تلك الفترة من خلال صلاتها بالوطن العربي والصلات مع اليمن القديم والساحل الشرقي الأفريقي، والصلات بين عمان والساحل الشرقي الأفريقي، وبين شمال أفريقيا وجنوبها ، ثم شملت الدراسة السكان وطبقاتهم واللغة والعادات والتقاليد السائدة عندهم، والديانة وأهم عباداتهم وكذلك الوضع الاقتصادي من زراعة وتربية الحيوانات والصناعة بأنواعها والتجارة وطرقتها اعتمدت الدراسة على مجموعة مصادر عربية أصيلة ومراجع ثانوية حديثة، فمن تلك المصادر ياقوت في معجم البلدان والمسعودي في مروج الذهب والقلقشندي في صبح الأعشى فضلاً عن المصادر الأخرى، وكما تناولت الخاتمة وهي أبرز النتائج التي توصل لها الباحث.

Abstract:

This study involved social and economical connections with south of Africa desert before Islam. The civilization rised, growed and flourished by the banks of rivers. The beginnings of that civilization rised in Africa as well as other continents around the rivers. Peoples of Africa had practiced agriculture grow animals, moreover, they knew industry and it's importance. Trade and mariner land commercial road, and it's importance, in addition to, their knowledge of gold and bronze. The study subject that the area of Africa concentrated old connections back to that period through it's connections with Arab Homeland. Ancient Yamine , African east coast, and north with the south of Africa. The study involved the population and its classes, language, existing customs and traditions, religion and important worships as well as the economical situation including agriculture, growing of animals, kinds of industry and ways of trade. The study depended upon group of genuine Arabic references and modern secondary references, including Yakoot in Mo'ejam Albeldan "Dictionary of Countries", Almas'oodi in Morooj Aldahab "Greenlands of gold", the qalqashandi in Subh Alasha as well as other references. The study has conclusion which is the most prominent result reached by the researcher.

المقدمة

يدور هذا البحث حول (الصلات الاجتماعية والاقتصادية مع جنوب الصحراء الأفريقية قبل ظهور الإسلام) فمن المعروف أن الحضارات عبر التاريخ قد نشأت، وترعرعت ونمت وازدهرت، على ضفاف الأنهار، وتعتبر أفريقيا كغيرها من القارات التي ظهرت فيها بواكير الحضارة حول الأنهار، فقد عرفت حضارات شاهدة، حول نهر النيجر وحول بحيرة تشاد، ونهر النيل وغيرها من المناطق الأفريقية الأخرى . إن الشعوب الأفريقية قد أدركت منذ وقت مبكر يتراوح بين خمسين وأربعين قرناً قبل الميلاد، تدجين الحيوانات، وممارسة الزراعة وكانت لها نظمها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وفنونها وعاداتها وتقاليدها . إن الأفارقة عرفوا الذهب والنحاس، وشهدت أرضهم ممالك قديمة، ولم تكن الصحراء حاجزاً يحجز شمال أفريقيا عن جنوبها ولا شرقها عن غرب شبه الجزيرة العربية، الذين اختلطوا وامتزجوا مع الأفارقة، وكونوا صلات وثيقة سواء كانت بالمصاهرة او علاقات اقتصادية تجارية الى غير ذلك . فالقارة السمراء فاقت حضارتها حضارة أوربا التي عاصرتها، رغم وجود الصحراء الواسعة التي شق أديمها أبواؤها وأجدانها، عبر قوافلهم الحضارية، نتج عنها تأثير وتأثر في العادات الاجتماعية والاقتصادية . إن كل تلك السمات التي اتسمت بها جنوب الصحراء الأفريقية جعلت الباحث يختار تلك الدراسة الشاملة لتلك المنطقة، وهي قلما أشار إليها الباحثون أو أغفلوا عن قسم منها ولذلك اخترنا هذا الموضوع للدراسة ، فبدأنا بإعطاء صورة واضحة للجانب الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء وأهم صلاتها القديمة التي أثرت في تلك الحضارة قبل ظهور الإسلام متنولاً أهمية أفريقيا وصلاتها القديمة بالوطن العربي، وصلات اليمن القديم بالساحل الأفريقي الشرقي، والصلات بين عمان والساحل الشرقي الأفريقي قديماً والصلات بين شمال أفريقيا وجنوبها، ثم تطرقنا الى الجانب الاحتماعي وأهم مظاهره فيما يخص السكان وطبقاتهم وأجناسهم واللغة بأنواعها والعادات والتقاليد التي كانت سائدة آنذاك، وكذلك الديانة وأهم عباداتها بأنواعها، ثم شملت الدراسة الجانب الاقتصادي الذي ضم الزراعة وتربية الحيوانات وأهم مزارعهم والصناعة بأنواعها، والتجارة والحركة التجارية في تلك الفترة . إن تلك الدراسة قد اعتمدت على مجموعة مصادر عربية أصيلة تاريخية وجغرافية، فضلاً عن المراجع الثانوية الحديثة، فمن تلك المصادر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان والذي ركز على بعض المواقع الأفريقية ، والمسعودي في مروج الذهب، والقلقشندي في صبح الأعشى، وابن بطوطة في رحلته، وغيرها من المراجع الثانوية الحديثة والمعربة والتي أغنت الباحث في دراسته ، ولمن أراد الاطلاع على تلك المصادر والمراجع فقد وضعناها في نهاية هذا البحث . أرجو أن أكون قد وفقت في تلك الدراسة والله الموفق.

أولاً: أهمية أفريقيا وصلاتها القديمة بالوطن العربي

إن عمق الصلات بين سكان القارة الأفريقية، والوطن العربي قديمة قدم الإنسان، حيث توصلت العلاقات عبر مرور الزمن (١) ، وهي علاقات متينة بحكم الجوار منذ فجر التاريخ، حيث تشكل جزءاً حيويًا من التراب العربي الممتد من المحيط الأطلسي الى البحر الأحمر عبر الصحراء الكبرى، وشريط ساحل البحر الأبيض المتوسط (٢) ، ويعتبر العامل الجغرافي والتاريخي من أهم الروابط بين الشعوب، فالعامل الجغرافي هو عامل التجاور الذي كان له الدور الواضح في خلق تداخل وتلاحم وثيق بين الشعوب، فإذا ما نظرنا الى خريطة القارة الأفريقية نجدها كتلة واحدة (٣) . أما العامل التاريخي لمراحل التواصل الأفريقي فهو عامل الزمن، والذي يعود لعدة آلاف من السنين، أدى الى الصلة (٤) الوثيقة بين العرب والأفارقة في التشابه العرقي واللغوي والثقافي (٥) . ففي سنة ٩٥٠ ق.م وفي عهد الأسرة الثانية والعشرين (٦) ، عرف العالم ميلاد ثلاث مراكز نمت وازدهرت لتحمل الحضارة الى داخل أفريقيا، فكان أول مركز من هذه المراكز كوش (٧) ، التي تمتعت بمكانة عالية خلال القرن الثامن ق.م، والحضارة الثانية التي أثرت على القارة الأفريقية كانت حضارة

قرطاجة^(٨) والمدن الليبية، التي اتصلت بإفريقيا حاملة معها حضاراتها الزراعية والصناعية ومعتقداتها الدينية، أما الحضارة الثالثة والتي لعبت دوراً إيجابياً في أفريقيا هي حضارة اليمن^(٩) وحضرموت، التي عرفت قديماً ببلاد العطر والبخور في الجنوب الأقصى من الجزيرة العربية^(١٠) ومن خلال عمق تلك الصلات الإفريقية القديمة بالوطن العربي يتضح مدى التغلغل والانتقال الإفريقي ومدى تأثيرهم على الحضارات القديمة آنذاك ولاسيما حضارة قرطاجة.

ثانياً: الصلات القديمة بين اليمن والساحل الإفريقي الشرقي

تشير المصادر القديمة إلى أن بعض القبائل العربية قد هاجرت من اليمن إلى شرق أفريقيا عن طريق باب المندب، ولم تقصر على الساحل الشرقي بل امتدت العلاقات إلى أواسط أفريقيا حتى استقرت غربي نيجيريا^(١١)، ونفذت جنوباً عن طريق بحر العرب والمحيط الهندي إلى جزيرة زنجبار، وسواحل كينيا وتنجانيقا^(١٢). فقد نشأت الصلات العربية الإفريقية منذ القدم، حيث توغل البحارة اليمنيين عميقاً في ساحل أفريقيا الشرقي حتى ميناء يسمى رابطة وهو ميناء غير معروف، ويعتقد أنه في مكان ما من ساحل تنزانيا الحالية، وجلب التجار المعادن واستبدلوها بالصمغ والبهارات والعاج، وقرون الكركدن، حيث كشفت أعمال التنقيب التي أجريت على موقع في الساحل الشرقي الإفريقي، تدل على وجود آثار لمواقع تجارية^(١٣). فكان الاتجار سهلاً بالنسبة للعرب وذلك لقرب السواحل الإفريقية من بلاد العرب الجنوبية، ومن بين السلع التي تاجروا بها مع سواحل أفريقية الشرقية الطيوب والافاوية ينقلونها ليستبدلوا بها المعادن والعاج والاشخاش من افريقيا^(١٤). وكانت المنتجات التجارية لشرق أفريقيا والهند وأندونيسيا والصين نادرة ولكي تصل هذه البضائع إلى حوض البحر المتوسط يجب ان تلف حول البحر الأحمر، والخليج العربي وهذا الالتفاف حول البحر الأحمر يعتبر خطيراً جداً، لذلك تسلك هذه البضائع طريقها إلى اليمن وهي طريق وعرة، تنقل فيها البضائع على الجمال، وتمر بها إلى سوريا ومصر، حيث حققت هذه التجارة منذ وقت مبكر ثروة كبيرة لليمن، وذلك بتطوير تجارة التوابل التي بيعت بأسعار عالية ومختلفة في الغرب وأفريقيا^(١٥). وذلك منذ الألف الثاني قبل الميلاد حيث جابت القوافل التجارية الصحراء العربية، والسواحل الإفريقية وتعود محمله ببضائع البلاد التي تتجر معها بالتوابل من الهند والرقيق من افريقيا^(١٦)، من خلال الطريق الملاحي المشهور من موانئ شبه الجزيرة العربية إلى السواحل الإفريقية، وسلك هذا الطريق البحارة اليمينيون مسافرين بمرابكهم إلى سواحل أفريقيا ويعودون ومعهم الذهب والعنبر^(١٧)، والعبيد من الحبشة^(١٨)، وذكرت مصادر قديمة إلى أن بعض زعماء الساحل الشرقي لأفريقيا كانوا يدينون بالولاء لبعض أمراء اليمن، (انهم يألون أهلها ويتزوجون معهم ويعرفون الساحل واللغة)^(١٩). إن أقدم إشارة خطية، أشارت إلى صلة العرب بساحل أفريقيا، هو ما جاء في كتاب تاجر يوناني من الاسكندرية في أواخر القرن الأول الميلادي، باسم الدليل الملاحي للبحر الإريتري ليكون دليلاً للتجارة في تلك المنطقة، أشار فيها إلى مدينة ربططة التي يحكمها حاكم عربي ينتسب إلى قبيلة معافر اليمنية، ويخضع في الوقت نفسه إلى مدينة مخا^(٢٠) في اليمن، كما تحدث عن زواج العرب من النساء الإفريقيات^(٢١)، وقد كون العرب الجنوبيين مملكة أكسوم (في أوائل الألف الأول ق.م)^(٢٢). ووصل التجار اليمينيون إلى بلاد الزيلع^(٢٣) وسواكن^(٢٤) ودهلك^(٢٥)، ووصلت أيضاً مراكب تجار زبيد إلى ساحل الحبشة وبلاد النوبة^(٢٦)، وفي عدن جمعت تجارة الشرق والغرب، وكانت جميع سفن الحبشة وشرق أفريقيا ترسو بميناء عدن، ويسافر تجار عدن إلى الشام، ومصر والحبشة، حيث يتوفر في أسواق عدن الحديد والنحاس والمرجان والملابس والاشخاش^(٢٧). وتحمل من أسواق صنعاء^(٢٨) ومن موانئ اليمن الطيب والبخور، الكثيرة الاستعمال في المعابد والكنائس، وتعود بالتوابل من بلاد الحبشة والمنسوجات من مصر^(٢٩). وقد أثرت لغة اليمن في بلاد الحبشة، حيث عرفت لغة سبأ في الحبشة باسم جعيز (نسبة إلى القبيلة التي كانت تتخاطب بها)، ولغة سبأ هي لغة المهاجرون اليمينيون إلى الحبشة، والجعيز هي أم اللغات الرئيسية الثلاث التي يتخاطب بها اليوم في الحبشة وأرتريا^(٣٠)، أما الحروف الحبشية فقد استمدت من الحروف الهجائية بجنوب الجزيرة العربية حيث عرفت بمدينة هرر^(٣١) لغة تعرف باسم «حضري»، وهي تكتب بالحروف العربية، وتأثرت لغة هرر باللغة الصومالية وبلغت القالة، ولكن مدينة هرر أثر فيها الطابع العربي^(٣٢). نتيجة للهجرات اليمنية من حضرموت وسبأ وحمير، التي توصلت منذ بداية الألف الأول ق.م، وتزوجوا معهم ونقلوا لغتهم وثقافتهم، حيث اصطبغ الجزء الشمالي من الحبشة بالصبغة السامية، وخصوصاً مملكة أكسوم ويصف الأحباش بأنهم كوشيون، وتسكن المنحدرات الغربية من هضبة الحبشة بين النيل الأزرق، وحدود السودان شعوب نيلية وزنجية^(٣٣). وقد دخلت الديانة المسيحية جنوب اليمن عن طريق الحبشة، وفي الشمال عن طريق سوريا وشبه جزيرة سيناء الأهلة بالأديار والصوامع^(٣٤)، ومن خلال التأثير والتأثير وتعلم اللغة بين سكان اليمن القدماء، وسكان الساحل الشرقي الإفريقي قد ازدهرت التجارة ونمت وتطورت وأصبح هنالك تأثير وتأثير متبادل.

ثالثاً: الصلات القديمة بين عمان والساحل الإفريقي الشرقي

تمتد العلاقات العربية الإفريقية بجذورها إلى العهود السحيقة، إلى ما يقرب من ثلاثة ملايين سنة عندما كانت الجزيرة العربية جزءاً مكوناً للقارة الإفريقية، أي قبل ان يحدث آخر انكسار في كتلة القارة الإفريقية الذي أزاح الجزيرة، وأدى إلى ظهور خليج عدن والبحر الأحمر، ولم يقف البحر الأحمر حاجزاً بين العرب والأفارقة، فقد امتدت الصلات بينهما إلى أكثر من ألفي سنة تقريباً^(٣٥). ولقد كان تجار عمان يعملون في تجارة منتظمة مع شرق أفريقيا، ويصلون حتى جزيرة قنبلو من بحر الزنج^(٣٦)، وطافت سفن العمانيين المحيط الهندي، حاملة معها مختلف صنوف التجارات، والتي كانت مراكب البرابرة تحمل سلعتها النفيسة إلى مرافئها، وتتفجع كثيراً من نقلها من مكان إلى آخر^(٣٧). ويذكر العمانيون أن أمواج بحر بربري عظيمة شاهقة، أي ساحل شرق أفريقيا وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب من الأزدي^(٣٨)، وفي عالم المحيط الهندي اشتهر الكثير من المدن والمرافئ التي بلغت شهرتها الأفاق مثل هرمرز^(٣٩)، وسيراف^(٤٠)، وقيس^(٤١)، وزيلع، ومقديشو^(٤٢)، وجوا^(٤٣)، وسيلان، ومسقط^(٤٤) التي كانت المركز التجاري لتجار الخليج العربي، والساحل الإفريقي^(٤٥)، ويكون الخليج العربي ومداخله مسطحاً مائياً يخترق قلب العالم القديم مقرباً بين دول المحيط الهندي، ودول البحر المتوسط التي كانت تطلب منتجات عالم المحيط الهندي، فيحصل نوع من التنافس بين الخليج العربي والبحر الأحمر، لربط المحيط الهندي بالبحر الأبيض المتوسط، وإيصال منتجات المحيط الهندي إلى القارة الإفريقية^(٤٦). إن ركوب أهل عمان البحر ومهارتهم في صناعة السفن التجارية قد سهل عليهم تلك التجارة، وبروز التنافس التجاري الواضح مع أهل عمان. ويعتبر ميناء زيلع منفذ الحبشة عبر المحيط الهندي، أما مدينة بربرة (بلاد الصومال) عرفت الصفة الغربية للمحيط الهندي باسمها بحر بربرة، فقد نشطت تجارتها مع دول الخليج العربي، وصدرت من ميناء بربرة جلود الدباج إلى سائر البلاد،^(٤٧) وقد امتد نشاط أهل عمان والبحرين امتداداً واسعاً وصل شرقاً إلى بلاد السند وغيرها، وشمالاً إلى العراق وغرباً إلى مصر وجنوباً إلى بلاد

الحبشة وسائر بلاد ساحل الشرق الأفريقي، وبذلك لعب العمانيون دوراً متزايداً في التجارة البحرية عبر المحيط الهندي، وساهموا في رفع تجارة جنوب جزيرة العرب، حيث نقلت تجارة التوابل والطيب والبخور من الهند وشرق أفريقيا براً على امتداد الساحل الغربي لجزيرة العرب، وكان الإقبال على التوابل و مواد الطيب التي تدخل في تركيب العطور والمساحيق والأدوية^(٤٨). ولقد اتجه العمانيون للعمل بالنشاط التجاري عبر البحر الأحمر، والمحيط الهندي، والخليج العربي، نتيجة لوقوعهم في مفترق الطرق التجارية بين كل من الصين، والهند شرقاً والعراق شمالاً شرقياً والبحر الأحمر وبلاد الساحل الأفريقي الشرقي، وشرقي أفريقيا جنوباً غربياً^(٤٩)، وعمل التجار العمانيين على ربط جزيرة العرب تجارياً ببلاد القرن الأفريقي، وتعود المراكب محملة بالأخشاب، والتوابل، وسن الفيل والجلود والرقيق^(٥٠). وكان تجار ديلمون يأتون بسفنهم وهي محملة من تجارات الهند وأفريقيا وتباع في أسواق العراق، وأهم السلع التي صدرتها ديلمون الفضة واللؤلؤ، والنحاس^(٥١)، ونشطت حركة الملاحة في موانئ الأحساء والبحرين، وامتدت تجارتها إلى الهند والبحر المتوسط، حيث كانت الملاحة تتعذر على من يجهل سر الرياح الموسمية^(٥٢) وكما حملت البضائع أيضاً من جدة^(٥٣) إلى القطيف^(٥٤) في إقليم البحرين، ونقلت في القوارب الشراعية مع اللؤلؤ الذي استخرج من الخليج العربي ويرسل الحبشة^(٥٥)، وينقل العقيق والياقوت والماس والنحاس والعنبر والبخور من البحرين وعمان إلى سواحل شرق أفريقيا^(٥٦)، وكانت البحرين محطة مهمة جداً للتجارة بين الهند وأفريقيا وسواحل الخليج، وتستورد الأخشاب من الهند وأفريقيا^(٥٧)، واشتهر ساحل شرق أفريقيا بزراعة السكر والأرز والسمسم، وتجارة العاج والعنبر وقشور السلحفاة، حيث كانت قوافل أهل عمان والبحرين تتردد على الساحل الشرقي الأفريقي، للبيع والشراء، وفرت لهم منتجاتهم التي كانت قيمتها في عملية التبادل التجاري^(٥٨). لذلك كانت مراكب العرب العمانيين والسيرافيين تصل إلى بلاد سفالة الذهب، لتتاجر بالذهب وسن الفيل الذي كان يصدر إلى عمان^(٥٩). وكما أكدت لنا المصادر التاريخية عن عمق الصلات الأفريقية العربية، وبأن العرب امتلكوا تاريخاً غنياً، حيث أشار الرحالة اليونان في مؤلفاتهم خلال القرن الأول الميلادي وعبروا عن ذهولهم لما شاهدوه من أعداد هائلة من السفن العربية على الساحل الشرقي الأفريقي، وعن قدرة العرب في العيش والاختلاط بالافارقة والتزاوج معهم^(٦٠)، وذكرنا لنا بأن التجار العرب يأتون من عمان والبحرين بسفنهم وهي محملة بالخناجر والرماح والزجاج، وتعود بالجلود، والرقيق، وقرن الخرتيت^(٦١)، كما يحمل من أرض الزنج الذيل من ظهور سلاحهم وكذلك الزرافة وجلود النمر الحمر، التي كانت لباسهم، وأنياب الفيلة التي تحمل إلى عمان والبحرين وسائر البلدان العربية، وتحمل المعادن والزمرد من بلاد البجة^(٦٢) للخليج العربي عمان والبحرين^(٦٣).

رابعاً: الصلات القديمة بين شمال أفريقيا وجنوبها

تمتد العلاقات العربية الأفريقية بين شمال القارة وجنوبها منذ القدم، حيث تقدم لنا الدراسات التاريخية وعلم الحفريات عن عمق الصلات بينهما، وبأن الصحراء لم تكن عازلة لشمال القارة عن جنوبها^(٦٤). وعلى الرغم من أن الوقت الذي تحولت فيه المنطقة إلى صحراء فإنها لم تكن مهجورة بل كانت ممتلئة بالحياة^(٦٥)، وكان للنهر (نهر النيل) دوراً في الاتصال بين الشمال والجنوب، حيث كان نهر النيل الميناء النهري الذي يصل طرق القوافل ببعضها إلى اعماق القارة، والى جانب ذلك تجارة الجزيرة العربية^(٦٦)، وقد اكتسب النيل الذي كان يجري في الصحراء قيمة اقتصادية، حيث تدفقت موجات من المهاجرين إلى الصحراء عندما يفيض النهر، وقد افترض (ليفي Levy) أن عبادة البقر التي أطلق عليها (الآلهة هاتور) كان يعبدها المصريون^(٦٧)، حيث إن تلك العبادة قد دخلت مصر من قبل سكان جنوب الصحراء الذين كانوا يقدسون آلهة مماثلة^(٦٨)، وقد وجدت أيضاً في فزان^(٦٩) رسوماً لاكباش تحمل قرص الإله آمون^(٧٠). أما التجارة فقد أدت دور كبير حيث اخترقت قوافل التجار الصحراء الكبرى، من عدة مواقع أهمها فاس^(٧١)، وسجلماسة^(٧٢) وغدامس^(٧٣)، تحمل البضائع عن طريق القوافل إلى جنوب الصحراء، وتعود محملة ببضائع مختلفة منها النحاس وجلود بعض الحيوانات^(٧٤)، واستغلت مصر كنوز الذهب بالنوبة، وجليبو الفضة وأنواعاً من كريم الاحجار، واستغلوا النحاس في صناعة الأواني والقلائد^(٧٥). وقد عبرت السفن القرطاجية نهر السنغال، وبلغت نواحي قابس، بلاد الذهب وهي المكان الذي تتم فيه المبادلات التجارية، كما علم التجار القرطاجيين زواج أفريقيا صناعة الذهب والقصدير، وهي معادن حصلوا عليها بالمبادلة مع بضائع أخرى، واستمرت تجارة المبادلة في البر والبحر، وعبر الصحراء، وذلك عن طريق محطات تجارية أخرى بين دول شمال القارة الأفريقية وجنوب الصحراء منها لبدية^(٧٦) واويا^(٧٧) التي اعتبرت محطات للتجارة الصحراوية^(٧٨). وقد تاجر المصريون والقرطاجيون مع جنوب الصحراء إلى أن وصلوا بلاد البونت^(٧٩) وعند وصولهم لهذه البلاد يخرج السكان لقرع الطبول، فيعرض التجار بضائعهم من صوفيات وقطنيات وحرائر بينها منسوجات أرجوانية، بالإضافة إلى الاقراط النحاسية واللآلئ الزرقاء والملح والتمر والتين، وتتم المبادلة التجارية بترك البضائع في اكوام صغيرة، ثم ينسحب التجار، ليأتي بعدها السكان المحليين للبلاد، ويختارون ما يريدون، ويضعون إلى جانب كل كومة من البضائع كمية من الذهب، يقدرون بها البضائع، وينسحبون، ليأتي التجار ويقرروا ما اذا كانوا يقبلون بهذا الثمن أم لا، فإذا لم يعجبهم ثمن البضائع يرجعون دون أخذ البضائع، فيعود السكان لزيادة الثمن، حتى يتم الاتفاق النهائي ويتوج بقرع الطبول، ويرجع التجار إلى الشمال محملين بالعاج والذهب والصمغ والعبود^(٨٠) ولقد أشار العديد من المؤرخين بأن هذا النوع من التجارة يسمى بالتجارة الخرساء، وأحياناً يحصل التراضي أو عدمه وقد وصف «هيرودوت»^(٨١) هذه التجارة بأنها التجارة الخرساء، وربما قصد الفينيقيين أصحاب هذه التجارة^(٨٢)، ولا يمكن أن ننسى الآثار المصرية القديمة التي تحمل العديد من أخبار القوافل التجارية مع أواسط أفريقيا وشرقها، وبصورة خاصة في عهد الأسرة الخامسة (٢٧٥٠ - ٢٦٢٥ ق.م)، ومنها في عهد الملك ساحورع، وهو أول ملك أثبتت آثاره أنه مؤسس المواصلات البحرية مع الصومال^(٨٣)، وتعددت العلاقات فيما بعد بين الطرفين، حوض النيل والصومال وشرق أفريقيا وغربها، وتعد مصر من المنافذ الرئيسية للهجرات العربية إلى القارة الأفريقية، وانعكست هذه الصلات بين العرب والافارقة على التشابه العرقي واللغوي والثقافي، حيث انتشرت اللغات الحامية على الساحل الشرقي والشمالى لأفريقيا.

وانتقل السكان من شمال القارة باتجاه الجنوب بسبب تناقص المطر والماء، ناقلين معهم تجارة عبر الصحراء، فقد اكتتت برنو^(٨٤) عربي بحيرة تشاد أكثر مطراً واخضراراً من كانم^(٨٥) في الشمال الشرقي من بحيرة تشاد، وتم التزاوج والاستقرار بين الطرفين منذ وقت مبكر، ولم ينحصر التأثير بين شمال القارة وجنوبها في التجارة فقط، بل إن ملوك غانته^(٨٦) الاوائل كانوا من شمال القارة،

وكذلك الحال بالنسبة للصنغاي^(٨٧) ، وتذكر الأساطير أن هذه الممالك قامت نتيجة لهجرات من الشمال عبر الصحراء، ومن الشرق من ناحية وادي النيل^(٨٨) .

خامساً : الجانب الاجتماعي

أ- السكان وطبقاتهم:

كانت تسكن أرض كوش جماعة من الحاميين الشرقيين يعرفون باسم الكوشيين وحصل التلاحم والتزاوج بين الحاميين والساميين، فإن الجنس الغالب في الحبشة شبيه عرقياً بسكان جنوب الجزيرة، نتيجة الهجرات التي حدثت من اليمن وحضرموت إلى الحبشة، التي تواصلت منذ بداية الألف الأول ق.م، وتزاوجوا معهم، ونقلوا اليهم لغتهم وثقافتهم^(٨٩) ، فكان الجزء الشمالي من الحبشة مصطبغاً بالسامية خصوصاً الرقعة التي قامت فيها مملكة أكسوم، فالسكان الأصليين بالحبشة حاميون، وأكبر المجموعات القبلية في أرتريا من بني عامر من أصول عربية، وكذلك قبائل عفر الدناقل وساهو، القاطنة في شرق الحبشة حتى ساحل البحر الأحمر^(٩٠) ، فهي ترجع إلى أصول الحجاز واليمن وحضرموت، وقبائل القاله تشكل أكبر مجموعة عرقية في الحبشة، ويرجح البعض أن قبائل القاله نزحت في الأصل من الجزيرة العربية إلى ساحل الصومال الشمالي^(٩١) . وقد عرفت بلاد السودان عند المصريين ببلاد كوش وعند اليونان باسم بلاد النوبة، وذكر المسعودي ت ٣٤٦ هـ أنه لما تفرق ولد نوح في الأرض سار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب، وهم النوبة والوجه والزنج، وسار فريق آخر منهم نحو المغرب وهم أنواع كثيرة، الزغاوة والكانم ومركه وكوكو وغانه، وغير ذلك ويصفهم المسعودي بأنهم أصحاب جلود النمر الحمر وهي لباسهم وتحمل من أرضهم إلى جزيرة العرب، جلود النمر لاستخدامها في صناعة السروج^(٩٢) . وتقتن قبائل عفر (الدناقل) في شرق الحبشة، أما قبائل ساهو، القريبة الصلة بهم في جنوب أرتريا وفي جزء من تجراي بشمال الحبشة، وهي معظمها قبائل رحل تزاوّل الرعي في منطقة صحراوية شبه قاحلة وشديدة الحرارة، وتنتسب معظمها إلى أصول عربية قدمت من جنوب الجزيرة العربية والحجاز، وقد سكنت قبائل عفر، منطقة صحراوية شاسعة تمتد من ساحل البحر الأحمر إلى هضبة الحبشة^(٩٣) ، ومن جيبوتي، في الجنوب إلى شبه جزيرة بوري في الشمال، ويسمون أنفسهم عفر ولغتهم عفر، ويسميهم الصوماليون أدالي، ويسميهم الأحباش ثلتال، ويعرفون اليوم باسم دناقل وهي تسمية وردت لأول مرة عند الجغرافي العربي الأندلسي ابن سعيد (ت ١٢٨٥ هـ)، ويفسر البعض بأن هذه التسمية مشتقة من «أنقا» قرية على الساحل، «وكيلي» بمعنى قوم^(٩٤) . والدناقل رعاة، يربون الإبل والماعز والماشية، وتؤكد روايات أجدادهم بأنهم كانوا بيضاً، ومن جنوب الجزيرة العربية، وتميزت علاقات قبائل العفر بالعداء لجيرانهم قبيلة عيسى جنوبهم، التي تسكن المرتفعات الشرقية من الحبشة، وانقسم العفر إلى أسابمره وهم الأشراف، وأدويمره البيض وهم العامة، ونسبهم إلى جد عربي من اليمن^(٩٥) ، والحضارم يعتبرون أنفسهم منحدرين من عرب حضرموت، وهم منتشرين على الساحل وفي الدواخل وهم رعاة ويلتزمون بالأعراف القبلية، وقبائل دونا يرجح أنها جاءت من اليمن أيضاً، وكذلك قبيلة بليسهو ترجع إلى أصول عربية. والنظام التقليدي عند العفر يقوم على أساس الصلات العائلية، لا على أساس قبلي^(٩٦) ورؤساء هذه العائلات هم أصحاب السلطة الحقيقية، وقد عرف رئيس القبيلة باسم «دردر» وبعدها رؤساء القبائل الفرعية، وتكون مناصبهم وراثية^(٩٧) ، أما قبائل ساهو التي تعيش في ما بين عفر والتجريين عند الحافة الشرقية لهضبة الحبشة، ومعظمها تعيش في أرتريا بين مصوع وسهل سمهر في الشمال وخليج زولا في الشرق، وهم رعاة رحل، واتخذوا التجريدية أو التجري لغتهم. ولغتهم قريبة من لغة عفر، ويرجح أن الساهو من أصول عربية من الحجاز وقريش، فإن أسوارتا أكبر قبائل ساهو، تنتسب إلى عمر أساهو، وتنتسب قبيلة منيفيري إلى قريش وكذلك قبائل طرومه^(٩٨) ومن خلال تلك التنظيمات الاجتماعية القبلية يظهر لنا التنظيم الواضح لرئيس القبيلة، وباقى أفراد القبيلة بالرغم ما لبعض القبائل من ترحال وتنقل دائم. أما قبائل البجة الرحل بين نهر النيل وساحل البحر الأحمر، التي تعتبر أول بلاد الحبشة، آخر بلاد هذه القبائل^(٩٩) ، ويشير الهمداني بأن هذه القبائل تسكن «بلاد الحبشة الوسطى التي فيها مصوع وسواكن، وعيداب وأرض المعادن»^(١٠٠) ، أما ياقوت ت ٦٢٦ هـ، فيقول البجاء أمم عظيمة بين العرب والحيش والنوبة^(١٠١) ، وينقسمون إلى أربع قبائل هي، من الشمال إلى الجنوب، العبادية، البشارين، الهدندوة بنو عامر، ويسكن بنو عامر جنوبي حور بركة، وتمتد أراضيهم إلى أرتريا، وشرق السودان، وإلى تخوم الحبشة، ويعتبر البجة شعباً سامياً حامياً، وينقسم إلى مجموعة شمالية تتكلم لغة حامية (البجة)، ومجموعة جنوبية تتكلم لغة سامية وهي تجراي أقرب للغات الحبشية إلى الجعيز، اللغة الأصلية لهذه اللغات^(١٠٢) . وقد نقل العرب من جنوب الجزيرة العربية إلى مرتفعات الحبشة اللغة السامية منذ الألف الأول ق.م، وقد انتشرت هذه القبائل فيما بينها واستقرت وتزاوجت مع السكان الأصليين^(١٠٣) ، ويذكر المسعودي أن النوبة كانت أشد من البجة إلى أن قوى الإسلام، وسكنت أيضاً قبائل من ربيعة بن نزار في أراضي البجة، وتزاوجوا في البجة، واشتدت شوكتهم، وقويت البجة بمن صاهرها من ربيعة، وقويت ربيعة بالبجة على من ناوها وجاورها من القبائل^(١٠٤) . وقد سكنت القبائل السودانية في خيام من جلود الإبل، ثم تطور البناء وأصبح بالأحجار والطين والخشب، وكذلك الحال في مدينة تنبكت التي اتخذت بيوتاً من الأحجار والطين^(١٠٥) وهذا يبرز مدى عمق العلاقة والصلات العربية الأفريقية على مر الزمن.

ب- اللغة

شهدت الحبشة خلال الألف الأخير ق.م، تدفق اللغات السامية عبر البحر الأحمر من جنوب الجزيرة العربية، وتحدث السكان بلغات الكوشية، كما وجدت كتابات بالخط الحميري، وكانت الجعوز^(١٠٦) اللغة العامة في أكسوم^(١٠٧) . وهي لغة سبأ وعرفت باسم الجعيز نسبة إلى القبيلة اليمنية التي كانت تتحدث بها، والجعيز أم اللغات في شرق أفريقيا التجريدية، والتجريدية والإمحرية، أما في أكسوم فإن لغة التخاطب بينهم التجريدية، ويسمونها حبشة، أي اللغة الحبشية، أما التجريدية عرفت في كسلا بالسودان باسم الخاصة، وهي لغة التخاطب في شرق أفريقيا، وفي سهولها الشمالية والغربية، وكذلك لغة بني عامر، وهي غير مكتوبة^(١٠٨) . واللغة الأمحرية، نسبة إلى أمحرة، وهي لغة سكان الهضبة الوسطى، وقد عرفت منذ زمن بعيد بلسان النجاشي، واشتملت هذه اللغة على مفردات كوشية، واستمدت الحروف الحبشية من الحروف الموجودة بجنوب الجزيرة العربية، وقد عرفت لغات أخرى بجانب اللغات السابقة عرفت باسم «حضري» وهي تكتب بالعربية^(١٠٩) ، وقد اختلفت اللغات في السودان فتسمى أحدهما سونغاي، وتستعمل في عدة نواح، كولاته، تمبكتو، وجني، ومالي، وكتاواو، بينما تدعى لغة أخرى كوبر، وتستعمل في بلاد كوبر، وكانوا، بالإضافة إلى لغة برنوا

المستعملة في كاوكاو، وأخرى في النوبة تختلط فيها العربية والسريانية والقبطية^(١١٠) من خلال ذلك يتضح لنا تعدد اللغات الإفريقية وعدم اعتمادهم على لغة التخاطب الواحدة .

ج - العادات والتقاليد

فيما يخص زيهم، ذكر الفلقسندي، ان لهم ثوبان غير مخيطين، أحدهما يشد به وسطه، والآخر يلتحف به، ويلبسون الحرير والأبراد اليمينية^(١١١)، والزنج يرتدون جلود النمر الحمر،^(١١٢) أما فيما يخص الطهي وأدوات الطعام فقد استخدم أهل أفريقيا فيما وراء الصحراء لظهو طعامهم القدر والأقداح المصنوعة أما من النحاس، أو الفخار، كما استعملوا الدلو المصنوع من جلد البقر، والأبل والماعز بعد دبغه في استخراج الماء، وتستخدم أيضاً القرب في الحفاظ على الماء والزيت والدقيق واللحم، وتصنع من جلد ذكور الماعز لقوتها وطريقة اعدادها بأن يخرج جلد الماعز من رقبته عند سلخه، وتدبغ، واستعمل أهل أفريقيا فيما وراء الصحراء، الزق وهو قرح من الفخار^(١١٣). أما المرأة الإفريقية فهي التي تقوم بإعداد الطعام، من اللحم، وكذلك من الحنطة والقمح بعد طحنه، وتضم الوجبات التي يتناولها السكان الحساء، واللحم المشوي، والزبدة والعسل، ولا تأكل المرأة مع زوجها الا نادراً^(١١٤) ويظهر من ذلك بساطة المرأة الإفريقية فيما يخص حياتها المعيشية دون تكلف يذكر. أما فيما يخص الملابس الملكية ففي غانه يلبس الملوك الحرير، أو برودة يلف بها وسراويل في وسطه، ونعل شرقي في قدمه، وفي المناسبات الدينية له زي كامل، يقدمه أمامه وتمشي امامه الفيلة، وضروب من الوحوش التي توجد في بلاد أفريقيا، ويتجلى الملك الغاني بحلى النساء في عنقه، وذراعيه، ويحمل على رأسه طرطوراً مذهباً، وعليه عمامة قطنية وملابسه مخيطة^(١١٥) ان ذلك له دلالة على هيبة ملوكهم، وإعطائهم تلك الأهمية البالغة والتعظيم. وأما ملوك سنغاي فإنهم يرتدون السراويل والقميص السوسي الأخضر، وأربعة قمصان وهو أفضل لباس عندهم، ويتزينون بالذهب المرصع، ويرتدي حكام ما سنه القميص والمأزر، وملوك زافون يلبسون أثواباً مزركشة ويلتفون برداء أبيض^(١١٦). أما حلي النساء وملابسهن فيرتدي نساء منطقة أفريقيا فيما وراء الصحراء منذ زمن غانه، الحلي المصنوعة من النحاس والخرز والنظم الزجاجية، وأنواعاً من المجزعات الزجاجية، وفي مالي يرتدي النساء حلي من الذهب، أما في سنغاي تحلى النساء بتطاريح من الذهب على رؤوسهن، وأسوار ذهب وفضة، كما يرتدين الملحفة السوداء^(١١٧)، ومن خلال زي النساء والرجال يظهر تأثير شمال أفريقيا واضحاً ومن خلال استعمال الذهب يظهر توفره بكميات لا بأس بها عندهم أيضاً.

د - الديانة

انتشرت في الحبشة عبادة آلهة جنوب الجزيرة العربية، حيث وجدت نقوش يظهر فيها اسم الإله «المقه» إله القمر، ويرمز له بالهلال والقرص، بالإضافة الى عبادة الشمس في زوج من الآلهة^(١١٨)، وقد وجد معبد في أكسوم يحتوي على تماثيل ومذابح^(١١٩)، ومعبد آخر الى الجنوب الشرقي من أكسوم عثر فيه على تماثيل صغيرة من الفخار تمثل الماشية، حيث تدل النقوش على أن المعبد كان مكرساً لاله القمر^(١٢٠)، وعثر أيضاً على كثير من مذابح حرق البخور، وتشير العلامات على هذه المذابح الى آلهة جنوب الجزيرة هلال فوكة قرص^(١٢١)، وقد عبد البجة الأوثان، وسجدوا لصنم من الحجارة في صورة صبي^(١٢٢) ويبدو ان للإله (المقه) إله القمر مكانة بارزة عندهم وذلك واضح من خلال رسومهم. وقد انتشرت الوثنية في أفريقيا وراء الصحراء، وهي تعني إضفاء النفس والروح على الكائنات غير البشرية، وتمثلت في عبادة الحيوانات وكان لكل قبيلة عبادتها تفرد بها عن باقي القبائل، فقد عبد أهل غانه الثعبان الضخم، وأهل سنغاي الحوت الكبير^(١٢٣)، بالإضافة الى تقديس الطبيعة، حيث عبد بعض الوثنيين الأرض، وكانت تقدم لها القرابين في فترة الزرع والحصاد، تقرباً منها واستعطافاً لها، بالإضافة الى روح الخوف التي تسيطر عليهم، وكانت تقدم القرابين لنهر النيجر في صورة أضحاي تقرباً للنهر، وعبد البعض الآخر المطر الذي يعتبر رمز للخير والسعادة لأن القوى الخفية بالمطر تسعدهم^(١٢٤) ان ذلك يوضح عبادتهم للمظاهر الطبيعية وهذه الديانة منتشرة حتى مع باقي الاقوام الأخرى التي عاشت فترتهم. هنالك بعض القبائل اختلفت في تسمية آلهتها، وذلك بحسب القبيلة المعتنقة، فعرف الإله عند البنبارة باسم فارو، وعند قبائل الأشانتي باسم نانا، وعند الدوغون باسم اما، وغذاء الآلهة لحم الأضحاي، وحساء الذرة، أما الدموم، وهي إحدى مناطق أفريقيا فيما وراء الصحراء، كان أهاليه يعبدون صنماً، على صورة امرأة فوق قلعة ويشدون اليها الرجال، وفي بعض المناطق يتبرك الأهالي بشجرة القطن ويزرع كل واحد شجرة قطن في بيته، ويعتقد معتنقوا الوثنية أن أرواح آبائهم وأجدادهم قد دخلت في تلك الكائنات لكي تحمي الأحياء، وتجلب لهم الخير، وبذلك قدس الوثنيون اسلافهم، وأخذ الاستشارة منهم في كل أمورهم الحياتية^(١٢٥)، وقد اعتقد سكان افريقيا فيما وراء الصحراء، في وجود خالق قوي من الصعوبة الوصول اليه، الا عن طريق روح الأجداد والأرواح والكهنة، والسحرة، ويعتبر الوثنيون أن الموت ليس معناه فناء الميت، فإذا قضى الموت على الجسد، تنتقل الروح الى مكان قريب من المكان الذي عاش فيه صاحبها، وبذلك لا تنقطع العلاقة عن أقرباء الأحياء، وكان في اعتقادهم أن لارواح القدرة على تحقيق الخير والشر^(١٢٦)، ولهذا تقدم لها الأضحاي والقرابين في المناسبات تقرباً منها لكسب ودها، ويعتقدون أيضاً أن أرواح أجدادهم تأتي إليهم باستمرار، حتى انهم لا ينظفون صحنونهم من الطعام اعتقاداً منهم بأن الأرواح تأتي وتأكل بقايا الطعام، وقد وصل بهم الاعتقاد الى دعوة تلك الأرواح الى حضور أعراسهم^(١٢٧) إن تلك العبادة مشتركة مع سكان مصر القدماء، واعتقادهم بوجود الأرواح التي تعيش بينهم مما يدل ان العبادات هي عبادات مشتركة. وقد كانت هذه الآلهة الكهانة، وهي من العادات والتقاليد، التي كانت منتشرة في أفريقيا فيما وراء الصحراء، وإيمانهم بالكهنة والسحرة والكهانة متعددة الأنواع، فهي تستوجب فهم الانسان وتقبله بتدخل القوى الخفية في الوسط الطبيعي المتعلق به، ويمارس هذه المهنة قلة من أفراد القبائل، أما عن طريق الوراثة أو التعليم^(١٢٨)، ومن يمارسها لا بد له من معرفة عادات وتقاليد، وأساطير المجتمع الذي سوف يشتغل فيه، واتخاذ قرار الحرب والسلم، وكان لكل كاهن قبيلة طريقته في التكهن، فكهان قبائل سارا، وماسا، ومذنج يستخدمون الحصى والنوى والعظام، والعصى، والقش وأمعاء الحيوانات للتشخيص^(١٢٩) ويبدو ان الكهانة مشتركة بين مناطق جزيرة العرب وأفريقيا. وقد كان سكان سغ في غانه خليط من الفلان والبنبارة، يدينون بالديانة الوثنية، ومعبوداتهم هي الحيوان والأصنام^(١٣٠)، فقد كان البنبارة يذبحون لمعبوداتهم كل سنة إنساناً، وثوراً أبيض أو أسود أو أحمر أو أصفر، وكلبا وديكا، يذبحونه، ويشترط أن يكون الرجل الذي يذبحونه أمير قرية، يختطفوه ويأتوا به إلى مدينة سغ، ويذبحونه ويخلطون لحمه مع لحوم الثور والكلب، ويأكلونه، وينقلون جزءاً منه إلى قبر ملوكهم، (بتو) اما قلب الامير الذي يذبحونه فإنهم يجففونه، ويطحنونه ويحتفظون به دقيماً، فإذا زارهم ملك أو أمير فإنهم يخلطون جزءاً من دقيقه ويطعمونه له بدون بعلمه ويعتقدون بذلك أن الملك سيصبح تابعاً لهم، وعندما جاء الدين الاسلامي دخل المدينة منذ زمن امبراطورية غانه^(١٣١) وهذه من عاداتهم القديمة حيث ترجع لآلاف السنين.

سادساً: الجانب الاقتصادي

أ- الزراعة وتربية الحيوانات:

تركزت الزراعة في السهول الساحلية، حيث مارس سكان أثيوبيا الزراعة منها زراعة الذرة السكرية، وفي مالي استغل السكان التربة الطينية لزراعة الأرز الأفريقي، بالإضافة إلى زراعة الذرة والدخن، واستعمل الثور والمحراث في حراثة الأرض^(١٣٣)، واشتهرت أثيوبيا بالزراعة السفحية المدرجة على التلال، ولم تكن زراعة ضئيلة، بل كانت زراعة زاهرة، رغم قلة الماء التي استغلتها استغلال جيد، ولاسيما على أراضي السفوح، التي عرفت كيف تحتفظ بها خصبة مثمرة^(١٣٤)، وقد شهدت الزراعة في المناطق الساحلية من شرق أفريقيا تنوعاً ملحوظاً، في زراعة القطن والقمح، غير أن القمح لم يكن يزرع على نطاق واسع، وبذلك يقتصر كله على الملك والأثرياء^(١٣٥). أما الزراعة في مالي فقد اشتملت حاصلاتهم الزراعية على الأرز، والذرة، ومعظم الأرز الموجود من الصنف البري، أما الذرة، فتمثل الغذاء الرئيسي لهم ولدوابهم^(١٣٦)، وكانت أسعار الذرة مناسبة إذ بلغ قيمة التسعين مداً منه بمدينة تكدا ما يساوي مثقالاً واحداً من الذهب، حيث يمثل الأرز أيضاً أهم اقواتهم الرئيسية^(١٣٧). وهناك نبات يعرف باسم الغوتي يجنى ويستعمل غذاء رئيسياً، حيث يقومون بعد جنيهه باستخراج حبوبه وهي بيضاء، ويغسلونها ثم يطحنونها، ويصنعون منها الخبز، ومن أهم المحصولات التي يزرعونها نبات (القافي)، الذي يدفن في التربة، ثم يزداد حجمه، ونظراً لأهمية هذا المحصول، فإن الذي يسرقه يقطع رأسه ولا تقبل فيه أي شفاعاة^(١٣٨). وكانت الحنطة أيضاً تزرع في مالي، ولكن على نطاق ضيق، بالإضافة إلى القطنيا^(١٣٩) التي استخدمت كغذاء للسكان، وزرعوا أصنافاً من الخضروات كالبصل واللفت، ويقول ابن بطوطة، وجد في مدينة كوكو^(١٤٠)، الفوس العنابي الذي وصفه بأنه لا مثيل له، والكرنب والبانجان، إلى غير ذلك، وذكر ابن بطوطة أنه طحين الغوق يحمل إلى العديد من بلاد السودان^(١٤١). وكما وجدت بالإضافة إلى تلك المزروعات غابات كثيفة، وبها العديد من الأشجار المثمرة وغير المثمرة، وقد استفاد منها أهالي مالي، حيث يقول ابن بطوطة بأن القافلة يمكنها أن تستظل بظل شجرة واحدة^(١٤٢). وكانت هذه الأشجار كبيرة إلى درجة أن خزن الماء في جوفها ونسج النساج غزله بداخلها، كما وجدت من بين هذه الأشجار أشجار مثمرة وهي أشبه بالتفاح والخوخ، وهناك أشجار أخرى كان يستخرج من ثمارها نوع من الدقيق يطحنونه^(١٤٣)، إضافة لذلك فقد كانوا يجمعون من الأرض حبوباً تشبه الفول يقولونها مع الغوتي، ويتناولونها، ويقدمونها للأهالي، وقد وجدت في القرب من حوض النيل السوداني أشجار برية تعرف بأسم تادمون، لها ثمار طيبة المذاق وبداخل الثمرة دقيق لونه أبيض، يشبه الحنطة طعمه لذيذ، ومن ضمن منتجات هذه الغابات أيضاً صنف من الشجر يسمى (باليزور) ثماره أشبه بدقيق الترمس^(١٤٤). وكان لديهم أشجاراً تعرف بالفاريتي أشبه ما تكون بالليمون فتطحن، أو يستخرج منها مخلوط، يستعمل في طلاء البيوت، وقد ذكرت بعض المصادر القديمة الكيفية التي كان يتم بها طهي ثمار الفاريتي، حيث يحرق على نار ويترك بإضافة قليل من الماء ويترك ليبرد، ويستعمل كغذاء^(١٤٥). إن تلك الكثافة الزراعية في أفريقيا جنوباً يوضح لنا خصوبة الأراضي الزراعية، وتوفر الجو الملائم وتعدد المحاصيل وتوفر المياه الصالحة للزراعة. أما الرعي، فقد كانت تربي في أفريقيا جنوب الصحراء، الأبقار التي يُستفاد من ألبانها، ولحومها، وكذلك الإبل، التي استخدمت في الترحال لحمل البضائع، وخزانات المياه في أسفارهم الطويلة عبر الصحراء حيث كانوا يعطشون بعض الإبل لفترة من الزمن ثم يسقونها الماء، ثم تسير تلك الإبل مع القافلة، ولا تحمل شيئاً من الأمتعة، وتكتم أفواهاها^(١٤٦)، حتى لا تجتر، وبعدها يذبح بعير بعد كل مسافة ويؤخذ الماء من جوفه^(١٤٧). وقد توفرت مراعي كافية لتربية الأغنام من أجل صوفها، ولحومها، بالإضافة إلى الماعز، التي روي عنها بأنها تلد ما بين سبعة إلى ثمانية جدياً سنوياً^(١٤٨). وفي أثيوبيا تألفت القطعان من أبقار قصيرة القرون، إلى جانب الخيول، أما في النوبة فكانت القطعان من الإبل^(١٤٩)، وفي السودان الخيل التي كانت من الأصناف القليلة الجودة، وقد استوردت الخيول المسومة من الشمال الأفريقي، لاستخدامها في عدة أغراض^(١٥٠). أما الحيوانات البرية التي كانت تعيش في الغابات والبراري والوديان، فمنها الفيلة، وحمير الوحش والجواميس البرية، بالإضافة إلى الضباع والذئاب، وحيوان الزرافة التي كانوا يصطادونها ويأكلون لحمها^(١٥١). ووجد أيضاً في السودان الغربي، حيوان (المطى) الذي استعمل جلده في صنع الدروع، حيث كان جلده غالي الثمن، وكما كثرت في مالي النمر والأسود التي كانوا يستخدمون جلدها في ملابسهم، والطيور مثلت جانباً من حياة سكان مالي ومنها الطيور الداجنة وغير الداجنة، فالداجنة تمثل في الدجاج والوز والحمام، واستخدمت لحومها في غذائهم اليومي^(١٥٢). أما الطيور البرية فهي طيور النعام الذي كان ريشة تجارة مربحة من بين صادراتهم^(١٥٣) ومن خلال تلك الثروة الحيوانية الهائلة يبدو أن رعي الحيوانات وتجارتها مزدهرة هي الأخرى عندهم وحتى توفر الطيور والحيوانات بكثرة وإن كانت غير أليفة عندهم.

ب. الصناعة

عرفت جنوب السودان صناعة الفخار، وذلك باستخدام دواب مسنن، وهو فخار أشبه بالفخار في أرض الجزيرة العربية^(١٥٤). وفي أثيوبيا تعلم السكان صناعة النحاس، وذلك من خلال صلاتهم مع وادي النيل منذ القرن الخامس قبل الميلاد، واستعملت في منطقة أقادس بالنيجر أفران لصهر النحاس^(١٥٥). يبدو أن صناعة الفخار كانت مشتركة مع قدم الشعوب ويبدو أن الفخار قد تطور مع مرور الزمن. بالإضافة إلى الأسلحة والأدوات البرونزية، وعقود مرصعة بالعاج واواني مصنوعة من الفخار، ملونة باللون الأزرق، والتمائيل الصغيرة للحيوانات، التي تزين بالأقراط والأساور^(١٥٦) وهذا يدل على مدى تطور صناعة تلك التماثيل والأقراط. وقد انتشرت في كوش مصانع لصهر الحديد، حيث وجدت أفران خاصة لصهر الحديد قبل طرقه، وصنعت منه أدوات، وأسلحة للحرب، وصنع أهل ساو أدوات من البرونز والنحاس، فكانوا حدادين يعملون على صهر الحديد وتصنيعه، كما كان فخارهم متقن عديد الأنواع منها، الهتهم المتمثلة في التماثيل المزخرفة^(١٥٧)، واشتهرت أرض أفريقيا بمعادنها من الذهب والفضة والنحاس والملح، حيث وجد الذهب في الجهات الجنوبية من مالي، وقد استغل ملوك مالي مناجم الذهب، مما أدى إلى ربحهم في التجارة الخارجية، حيث صارت مضرراً للامثال، باعتبارها أكثر مناطق أفريقيا في استخراج الذهب^(١٥٨). وقد أورد القلقشندي بأن معدن الذهب يتكون من نوعين، «نوع ينبت في الصحراء له ورق شبيه بالنخيل، أصوله التبر، أما الثاني فيوجد في أماكن على ضفاف مجاري النيل (نهر النيجر) حيث وجد الذهب في آثار الحفائر كالحجارة والحصى، وكلاهما هو المسمى بالتبر، والنوع الأول أحسن، وذكر أيضاً يحضر في معادن مجتمعاً في أسفل الحفيرة وإن النوع الأول من الذهب يوجد عقيب الأمطار ينبت في مواقعها بهذه البلاد، وعندما يأخذ النيل في الارتفاع والزيادة، يوجد ما هو نبات يشبه النخيل وليس به، ومنه ما يوجد كالحصى فذهل الجميع مما يحدث في هذا الزمن أماكن

النيل»^(١٥٨)، ولذلك كان معدن الذهب مهماً في حياة السكان حيث يتم استخراجها وبيعه أو مقايضته^(١٥٩)، بالبضائع التي كانوا يحتاجون إليها^(١٦٠). وعن معدن النحاس الذي يعثرون عليه في الأرض، ويأتون به إلى البلد فيسكبونه في دورهم، حيث يفعل ذلك عبيدهم وخدمهم، فإذا سكبوه نحاساً أحمر صنعوا منه قصباناً في طول شبر ونصف بعضها رقاق، وبعضها غلاظ، ويشترون برقاقها اللحم والخطب، ويشترون بغلاظهم العبيد والخدم والذرة والقمح^(١٦١). ويجلب معدن النحاس الأحمر إلى مدينة بنبي في مالي، حيث يبعث منه إلى السودان^(١٦٢) ويورد البكري أن البجاه جماعة يملكون المعادن منها الذهب، والزمرد، والعاج^(١٦٣) ويلاحظ أن الأفارقة بارعين في صناعة المصوغات الذهبية وتفننهم فيها. ولقد روى ابن بطوطة في رحلته أن مقديشو كانت تصنع فيها الأقمشة التي يطلق عليها اسم المدينة، وكانت تصدر إلى مصر وغيرها من البلاد العربية^(١٦٤).

ج - التجارة

مثلت التجارة الأنشطة التقليدية التي مارستها مختلف المجتمعات البشرية منذ القدم، وقد ساعدت على ربط مجتمعات العالم القديم، كما حدث في تجارة العرب مع سواحل شرق أفريقيا^(١٦٥)، وقد شمل عالم المحيط الهندي كل الأمم والشعوب التي تقع سواحل بلادها على حافة سواحل المحيط الهندي، والتي عملت بالنشاط التجاري بين شواطئه، فإن تاريخ كل من الهند والصين والفرس والعرب في المحيط الهندي هو تاريخ تجارة متزايد ومع فترات التاريخ المتعاقبة، نمت قرناً بعد قرن، وازدهرت يوماً بعد يوم، وادت إلى قيام المدن والمرافق لينتهي عندها تجار الهند والعرب والفرس، والأفارقة^(١٦٦). فقد كانت الحركة التجارية عبر المحيط الهندي حركة متشابهة إلى أبعد الحدود، وهي تشبه خلية النحل في حركة السفن شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، القادمة والمغادرة، من كل من الهند والصين وسيلان وجزر الهند الشرقية، وفارس، والخليج العربي، وتجار العرب العمانيين واليمنيين والحضارمه وغيرهم، وتجارة بلاد الشرق الأفريقي^(١٦٧). إن تجارة المحيط الهندي تبدأ من سيلان التي مثلت مركز التجارة البحرية من الصين والشرق الأدنى، كما أن سفن الصينيين وصلت إلى بلاد الشرق الأفريقي^(١٦٨)، وتحديث عن مدينة مقديشو، ومنازلها المبنية بالحجارة، بالإضافة إلى السلع العديدة التي كانت تلقى رواجاً شديداً، في عالم المحيط الهندي^(١٦٩)، ومن بين تلك السلع كانت تجلب النمرور والفيلة وجلود النمرور والياقوت الأحمر والصندل والأبنوس وجوز الهند، إلى الساحل الشرقي الأفريقي^(١٧٠)، وكانت الحاصلات التركية والأوروبية تجمع بهرمز، وكان يبادل عليها بمحصولات الشرق، حيث يحمل جزء منها عن طريق الخليج العربي، والجزء الآخر من البضاعة كان ينقل إلى البحر الأحمر ومنها إلى السواحل الشمالية لأفريقيا، والسواحل الشرقية للقارة^(١٧١). وقد كان السودان، والصحراء يمثلان المورد الرئيسي للسلع التجارية التي تم التعامل فيها إلى جانب السلع الوافدة من المناطق الأخرى، وقد صدر السودان الذهب، وهو السلعة التي جذبت إليها التجار منذ القدم، فقد تاجر الفينيقيون مع السودان الغربي، وكان يطلق على السودان القديم^(١٧٢)، بلاد السودان الكبرى، التي تعني المنطقة الواقعة جنوب الصحراء^(١٧٣)، وقد اشتهرت في السودان الغربي بعض المناطق الخاصة بوجود الذهب، منها نقادة^(١٧٤)، وغياورا^(١٧٥)، وكوغا^(١٧٦) وإلى الجنوب والغرب من غانة، وقد ذكرت المصادر العربية أن الملوك كانوا يحتكرون الذهب، فهو ملك للسلطان تجمعه الرعية ولا يسمح لهم بأخذ شيء منه، حيث اقترنت ألقاب بعض الملوك بالذهب، فملك غانه، كان يطلق عليه كيمع ومعناها «ملك الذهب»، وقد ازدهرت تجارة غانه، وجذبت إليها أعداد كبيرة من التجارات المختلفة^(١٧٧). وإلى جانب الذهب فقد صدرت السودان، الجلود والعاج والعنبر، ومن بين تلك الجلود، جلود الماعز التي تدخل في صناعة النعال، وجلود النمر^(١٧٨). واشتهرت برنوا بتجارة النحاس المسبوك، حيث كانت مركزاً هاماً لتجارة الرقيق، وكذلك مدينة جاو التي صدرت سلعة (التاكوت) التي تصلها من غدامس، وتستخدم في دباغة الجلود، وتعد مدينة تادمكة^(١٧٩) مركزاً تجارياً هاماً لوقوعها بين جاو وإيرا، في تجارة القوافل،^(١٨٠) وقد مثلت أيضاً مدينة تنبكت مركزاً تجارياً بما كانت تنقله من بضائع تجارية إلى الشمال الأفريقي والشرق العربي، وما كان يأتي إليها من سائر البلدان، من بضائع ولاسيما الملح، وقد شاركت المرأة في المعاملات التجارية لتزويد التجار بالغذاء^(١٨١). وقد كان قوام الحركة التجارية بين السودان الغربي، والشمال الأفريقي في بدايتها تعرف بتجارة المقايضة التي عرفت في فترة ما بالتجارة الصامتة^(١٨٢)، وسبق الإشارة إليها، ثم تطورت إلى التجارة بالعملة، وتاجرت غانه بالقمح المصنوع من القطن وكذلك تاجرت بالذرة، والملح والنحاس في معاملاتهم التجارية^(١٨٣)، وقد اعتمدت السودان في حياتها الاقتصادية على معادن أرضها، وعلى العديد من أصناف التجارة التي كانت تقع بين مدن المملكة ومدن الشمال الأفريقي والشرق العربي، وتاجرت كذلك بالثروة الحيوانية التي كانت عماد السكان في الغذاء^(١٨٤). وينقل من بلاد الزنج أنياب الفيلة إلى عمان وسائر البلدان، ومن الحبشة الكحل والأخشاب إلى مصر واليمن^(١٨٥). وقد اشتهرت مدينة بربرة التي عرفت باسمها بلاد الصومال، حيث نشطت تجارتها مع بلاد العرب والمحيط الهندي^(١٨٦)، فقد كان ميناء بربرة يصدر جلود الدباغ إلى مدينة عدن باليمن، ومارست مختلف المدن على الساحل الشرقي الأفريقي النشاط التجاري الذي كان أساس نشأتها ووجودها، حيث اعتمدت الحبشة على موانئ زيلع وعدن ومصوع، في تصدير منتجاتها^(١٨٧)، فكانت زيلع هي المنفذ البحري لتجارة هرر، وكانت أشهر مدن الساحل في عملية التبادل التجاري، فهي فرضت العبور إلى الحجاز واليمن، وتقلع منها السفن متجهة إلى الخليج العربي، وجزيرة العرب حاملة معها مختلف البضائع الأفريقية^(١٨٨). ويتضح مدى ازدهار التجارة البحرية بكثرة عندهم، من خلال وقوع بلادهم على السواحل المطلية، فضلاً عن التجارة البرية وتوفر وسائل النقل البسيطة آنذاك، وكذلك ازدهار التبادل التجاري عندهم، وتلك التجارة قد توزعت على معظم مناطق أفريقيا الجنوبية وتنوع تصدير موادهم.

الخاتمة

- ١- تعد شرق أفريقيا من بلاد العرب والاسلام، وذلك لقربها الجغرافي الشديد من جزيرة العرب.
- ٢- تاريخ شرق القارة الأفريقية يبدأ في جنوب شبه الجزيرة العربية باعتبارها موطأ قدم العرب، منذ القدم التي تمثلت في الهجرات التي من بينها قبائل الجعر، والجيشات التي أطلق اسمها على كامل الحبشة، مما أدى إلى الامتزاج البشري بين تلك الجماعات.
- ٣- الظروف الطبيعية التي لحقت بشبه جزيرة العرب أدت إلى هجرة قبائل عربية إلى شرق أفريقيا.
- ٤- المنافذ البحرية قد سهلت عملية الاتجار بين العرب وسواحل القارة الأفريقية، فقد سهل باب المنذب الانتقال بين الطرف الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة وبين الشاطئ الأفريقي، وقد كان سبباً وثيقاً في الاتصال بين اليمن والحبشة في المجال التجاري والاجتماعي.

- ٥- موقع بلاد الشرق الافريقي على جانبي المحيط الهندي والبحر الأحمر جعل منها حلقة وصل بين بلاد العرب، والمحيط الهندي ودواخل أفريقيا، ووفر لها نشاطاً تجارياً مع العرب في تبادل منتجاتها التي كانت لها أهميتها.
- ٦- ان حركة التجارة هي التي أدت إلى عمليات التأثير والتأثر في الجانب الاجتماعي والاقتصادي، وامتزاج الحضارات فيما بينها.
- ٧- للصلات القديمة الافريقية مع باقي مناطق الوطن العربي لها أهميتها، وكذلك الحال صلاتها باليمن وعمان، وصلاتها بين شمالها وجنوبها، وعمق تلك الصلات القديمة.
- ٨- للافارقة جنوباً جوانب اجتماعية يعترفون بها كباقي الاقوام الأخرى، فهم سكان متنوعي القبائل وشعوبهم أصيلة، ولهم لغتهم التي يعترفون بها وان تنوعت تلك اللغة، فضلاً عن وجود العادات والتقاليد والتي لا تزال تمارس حتى الوقت الحاضر.
- ٩- تعددت العبادات الدينية عند سكان جنوب افريقيا منه العبادات الطبيعية وتقديس بعض الآلهة واقتباسهم من باقي الديانات الأخرى ومدى تأثيرهم وتأثرهم بهم.
- ١٠- يبدو ان الجوانب الاقتصادية مزدهرة عندهم وذلك واضح من خلال الزراعة وتنوعها وتوفير الجو الملائم لها وكذلك الرعي، ووجود الصناعات البسيطة لديهم كالفخار والأسلحة والأقراط والأنسجة وغيرها.
- ١١- للتجارة دوراً واضحاً في أفريقيا جنوباً من خلال تطور تجارتهم البحرية والبرية وبروز عدد من المدن التي اشتهرت بتجارها الداخلية والخارجية.

الهوامش

- (١) الوازني، مسعود عبد الله: التواصل الانساني وأثره في وحدة العقيدة بين شمال الصحراء وبلدان السودان، مجلة كلية الدعوة الاسلامية، العدد الثالث عشر، الجماهيرية ١٩٩٦، ص ٢٢٩.
- (٢) مناع، محمد عبد الرزاق: جولة في أفريقيا، ط١، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، ١٩٧٤، ص ٥.
- (٣) محمد، ظاهر جاسم: التواصل العربي الافريقي عبر التاريخ، مجلة كلية الدعوة الاسلامية، العدد الثامن عشر، الجماهيرية ٢٠٠١، ص ٢٧.
- (٤) محمد، ظاهر جاسم، المرجع نفسه، ص ٢٧.
- (٥) محمد، ظاهر جاسم، التواصل العربي الافريقي عبر التاريخ، ع ١٢٤، ص ٢٧.
- (٦) شيشنق أول ملوك الأسرة الثانية والعشرين بمصر (٩٥٠ ق.م) وينحدر من أصل ليبي، حسين عبد العالي: العلاقات الليبية الفرعونية منذ عصر ما قبل الأسرات وحتى بداية حكم الليبيين بمصر، ط١، دار أماني، سوريا، ١٩٨٩، ص ١٥٨.
- (٧) كوش: بينها وبين نوبية في بلاد النوبة ستة أيام، وهي تبعد عن النيل مسافة وموضعها فوق خط الاستواء وأهلها قليلون وتجارها قليلة، وأرضها حارة جافة وهي في طاعة ملك النوبة، ودار ملكهم دمقله: الحميري، محمد عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه احسان عباس، دار القلم للطباعة، لبنان، ١٩٧٥، ص ٥٠٤.
- (٨) قرطاجنة: من نواحي افريقية، مدينة عظيمة شامخة البناء أسوارها من الرخام، وهي على ساحل البحر بينها وبين تونس اثنا عشر ميلاً، ياقوت، الامام شهاب الدين ابي عبد الله الحموي: معجم البلدان، د/ط، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، ع ٤م، ص ٣٢٣.
- (٩) اليمن: إنما سميت اليمن، لتيامنهم اليها، وصفة اليمن الخضراء، لكثرة أشجارها والبحر مطيف بها من المشرق إلى الجنوب، يفصل بينها وبين باقي جزيرة العرب خط يأخذ من حدود عمان والبحرين، إلى حد ما بين اليمن واليمنية فإلى حدود الهجيرة وتثليث وكتبه وجرش ومنحدر في السراة إلى شعف عنز، وشعف الجبل، اعلاه تهامة، إلى أم جعدم، إلى البحر إلى جبل كرمل. ياقوت، معجم البلدان، م، ص ٤٤٧.
- (١٠) دافسن، بازل: افريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال أحمد، د/ط، دار الثقافة، بيروت ١٩٦١، ص ٧٩.
- (١١) نيجيريا، يطلق عليها قديماً السودان الغربي، دافسن: افريقيا تحت أضواء جديدة، ص ٢٣٥.
- (١٢) محمد، ظاهر جاسم: التواصل العربي الافريقي، ص ٣١.
- (13) Chittick, W.N., "An archaeological reconnaissance in the Horn the British Somali expedition, 1975", Azania, 1976, p.p 177-23.
- (١٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، ج٧، ص ٢٦٢ والأفاوية هي نوع من أنواع العطور الدهنية.
- (15) John Bagot Glubb: A short history of the Arab peoples, Quartet Books, London, without date, pp.24.
- (١٦) ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ط٨، دار المعارف، القاهرة، د/ت، ص ٢٦.
- (١٧) بربر: بين بلاد الحيش والزنج واليمن على ساحل بحر اليمن وبحر الزنج، وأهلها سودان، ولهم لغة لا يفهمها غيرهم، وهم بواد معيشتهم من صيد الوحش، ووجد العنبر في سواحلهم، ياقوت: معجم البلدان، م، ص ٣٦٩.
- (١٨) عبد العليم، أنور: الملاحة وعلوم البحار عند العرب، د/ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٧٩، ص ٧٣.
- (١٩) الزبيدي، محمد حسين: هجرة العرب والمسلمين إلى شرق أفريقيا بداياتها الأولى، مجلة المؤرخ العربي ع ٢٣، الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العراق، ١٩٨٣، ص ١٠٣.
- (٢٠) مخا: موضع باليمن بين زبيد وعدن بساحل البحر وهو مقصور، ياقوت: معجم البلدان، م، ص ٦٧.
- (٢١) محمد، ظاهر جاسم: التواصل العربي الافريقي، ع ١٨٤، ص ٣٠.

- (٢٢) الطيبي، أمين توفيق: الحبشة عربية الاصول والثقافة، د/ط، منشورات مركز جهاد الليبيين، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٣، ص ٣٤.
- (٢٣) زالع، زيلع: مدينة على ساحل البحر الحبشي المالح المتصل بالقلم، وأكثر مراكب القلم تصل إلى هذه المدينة بأنواع من التجارات التي يتصرف بها في بلاد الحبشة ويخرج منها الرقيق، والفضة والذهب، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٨٢.
- (٢٤) سواكن: مدينة بقرب جزيرة عيذاب، ومنها تسير السفن إلى مدينة سواكن، وهي على ساحل بلاد الجاه وبلاد الحبشة، ويخرج منها رقيق البجاة والحبشة، واللؤلؤ الجيد، الحميري: الروض المعطار، ص ٣٣٢.
- (٢٥) ذلك: جزيرة بينها وبين بلاد الحبشة نصف يوم في البحر، أهلها مسلمون، وحواليها ثلثمائة جزيرة معمورة، ومن هذه الجزيرة يحمل العبيد والاماء من الحبشة إلى سائر الأفاق، وأهل اليمن والحجاز ومكة يستحسنون اتخاذ السراري منهم، ومنها مغاص اللؤلؤ الجيد، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٢٤.
- (٢٦) البكري، أبي عبيد، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري: المسالك والممالك، حققه أدريان فان ليوفن، واندرى فيري، د/ط، دار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢، ج ١، ص ٣٢٧.
- (٢٧) فهمي، نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣، ص ١٣٧.
- الحبشة: هي إحدى ممالك البجة وهي بلاد واسعة « لم تزل العرب تأتي إليها للتجارات، وساحلهم ذلك، وأمر مملكة الحبشة الزنج، اليعقوبي (أحمد بن واضح بن يعقوب): تاريخ اليعقوبي، د/ط، بيروت، ١٩٨٠، م ١، ص ١٩٢.
- النوبة: مدينة صغيرة، ومنها إلى النيل أربعة أيام، ويجلب اليهم التمر، ولهن أعراق طيبة، الحميري: الروض المعطار، ص ٥٨٥.
- (٢٨) صنعاء: أشهر مدن اليمن، وتصنع فيها الحراب وتحمل إلى البلاد، والأردية والعمائم العننية والثياب والادم وهي من مخلاف بني مجيد. البكري، أبي عبيد: المسالك والممالك، ج ١، ص ٣٦٢.
- (٢٩) حسن، ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط ٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، ج ١، ص ٦٢.
- (٣٠) الطيبي، أمين: الحبشة، ص ٢٣.
- (٣١) هرر: اهم المدن الاسلامية في الحبشة ولها تقاليد عريقة ولها صلات عريقة وثيقة باليمن والعالم الاسلامي: الطيبي، أمين: الحبشة، ص ٢٤.
- (٣٢) الطيبي، المرجع نفسه، ص ٢٤.
- (٣٣) الطيبي، الحبشة، ص ٢٢-٢٣.
- (٣٤) حسن، ابراهيم: تاريخ الاسلام، ج ١، ص ٧٣.
- (٣٥) الحسيني، فاضل: قدم العلاقات العربية الافريقية، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة الواحدة والعشرون، ع ١٩٤، دار النشر العربية للدراسات والتوثيق، لبنان، ٢٠٠١، ص ٢٢.
- (٣٦) المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق قاسم الرفاعي، ط ١، دار القلم، بيروت، ١٩٨٩، م ١، ص ١٠٥.
- (٣٧) دافسن: أفريقيا تحت أضواء جديدة، ص ٢٥٤.
- (٣٨) المسعودي: مروج الذهب، م ١، ص ١٠٥.
- (٣٩) هرمز: مدينة بمقربة من جيرفت من عمل كرمان ومدينة هرمز كثيرة المياه وبها أسواق وتجارات. الحميري: الروض المعطار، ص ٥٩٥.
- (٤٠) سيراف في بلاد فارس، ومن مدن سابور، وهي على ساحل البحر الفارسي، وهي مرفأ للسفن، ومنها يتجر التجار إلى عدن وعمان، الحميري: المرجع نفسه، ص ٣٣٣.
- (٤١) قيس: مدينة بصعيد مصر، وهي على ضفة النيل والغربية، مدينة قديمة، فيها قصب السكر وأنواع التمور، الحميري: المرجع نفسه، ص ١٨٨.
- (٤٢) مقديشو: مدينة في أول بلاد الزنج في جنوب اليمن، في بر البربر في وسط بلادهم وهي مدينة على البحر، ومنها يجلب الصندل والابنوس والعنبر والعاج. ياقوت: معجم البلدان، م ٥، ص ١٧٣.
- (٤٣) جوا: قرية بالحبشة، الحميري: الروض المعطار، ص ١٨٠.
- (٤٤) مسقط: في طريق عمان على البحر، ترفأ فيها السفن، الحميري: المرجع نفسه، ص ٥٥٩.
- (٤٥) فهمي، نعيم: طرق التجارة الدولية، ص ١١٨، ١١٩.
- (٤٦) المسعودي، مروج الذهب، م ١، ١٠٥، ١٠٦.
- (٤٧) ابن حوقل، أبي القاسم بن حوقل النصيبي: صورة الأرض، د/ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٩٢، م ١، ص ٤٩.
- (٤٨) محمد، عمر المشري، بلاد القرن الافريقي نصوص ووثائق من المصادر العربية، ط ١، شعبة التثقيف والاعلام، طرابلس، الجماهيرية، ١٤٢٨، ص ٢٢٠-٢٢١.
- (٤٩) المشري، عمر محمد: بلاد القرن الافريقي، ص ٢٢٢.
- (٥٠) المشري، عمر محمد، المرجع نفسه، ص ٢٢٢، ٢٢٣.
- (٥١) جواد، علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ١، ص ٥٦٤.
- (٥٢) الحوفي، أحمد محمد: التيارات المذهبية بين العرب والفرس، د/ط، دار القومية للطباعة، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٨.
- (٥٣) جدة: فرضة أهل مكة على مرحلتين منها على شط البحر وهي عامرة كثيرة التجارات والأموال. الاصلطخري، ابن اسحق ابراهيم محمد الفارسي: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر الحسيني، مراجعة محمد شفيق غريال، د/ط، وزارة الثقافة والارشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٦١، ص ٢٣.

- (٥٤) القطيف: وهي بلد على مرحلتين من الاحساء من جهة الشرق والشمال، وهي على شط بحر فارس وبها مغاص اللؤلؤ، وبها نخيل دون نخيل الاحساء، القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي: صبح الاعشى في صناعة الانشاء، د/ط، المؤسسة المصرية للطباعة، ج٥، ص٥٦.
- (٥٥) حسن، ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام، ج١، ص٦٢.
- (٥٦) ويلسون، السير ارنولد: الخليج العربي مجمل تاريخي من أقدم العصور حتى القرن العشرين، تعريب عبد القادر يوسف، د/ط، مكتبة الأمل، الكويت، د/ت، ص١٢٢.
- (٥٧) جواد علي: المفصل، ج١، ص٥٦٩.
- (٥٨) المشري، عمر محمد: بلاد القرن الافريقي، ص٢٣٢.
- (٥٩) المسعودي، مروج الذهب، م١، ص١٠٦.
- (٦٠) الحسيني، فاضل: قدم العلاقات العربية الافريقية، ع١٩٤، ص٢٤، ٢٥.
- (٦١) محمد، ظاهر جاسم: التواصل العربي الافريقي، ع١٨٤، ص٣٠.
- (٦٢) البجة: البجة بينهم وبين بلاد النوبة جبال منيعة، واستوطنها العرب وبها معادن منها الزمرد، والجبل الذي فيه الزمرد متصل بجبل المقطم في مصر، والبجة جنس من الحيش وهم أصحاب ابل ولهم حراب يحاربون بها. البكري: المسالك والممالك، ج١، ص٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦.
- (٦٣) البكري: المرجع نفسه، ص٣٢١.
- (٦٤) الوازني، مسعود عبد الله: التواصل الانساني، ع١٣، ص٣٠٠.
- (٦٥) أم.كاي: مظاهر الاتصالات الفكرية والثقافية بين شمال الصحراء والسودان، مجلة البحوث التاريخية، السنة الثالثة، العدد الأول، مركز جهاد الليبيين، طرابلس ١٩٨١، ص١٠.
- (٦٦) قادوس، عزت زكي حامد: العملات اليونانية والهيلينستية، ط٣، مطبعة الحضري، الاسكندرية، ٢٠٠١، ص٢١٥ - ٢٢٠.
- (٦٧) ليفي: مؤرخ روماني ولد في شمال ايطاليا عام ٥٩ ق.م، ألف كتاب من مائة واثنين وأربعون مجلداً عن تاريخ الرومان. بكري: حسن صبحي: الاغريق والرومان والشرق الاغريقي الروماني، ط١، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٥، ص١٦٧.
- (٦٨) زيربو، جوزيف كي: تاريخ افريقيا السوداء، ترجمة عقيل الشيخ حسين، د/ط، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراته، ٢٠٠١، ص١٠٠.
- (٦٩) فزان: بين طرابلس وقابس، الحميري: الروض المعطار في خبر الاقطار، ص٤٤٠.
- (٧٠) زيربو، جوزيف كي: تاريخ افريقيا السوداء، ص١٠٠.
- (٧١) فاس: مدينة مشهورة كبيرة على برّ المغرب من بلاد الوبور وهي حاضرة البحر وأجل منده وهي أكثر بلاد المغرب يهوداً وبها يصبغ الارجوان. ياقوت: معجم البلدان، م٣، ص١٩٣.
- (٧٢) سجلماسة: مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام، ياقوت: معجم البلدان، م٣، ص١٨٧.
- (٧٣) غدامس: هي عجمية بربرية، وهي مدينة بالمغرب ثم في جنوبها ضاربة في بلاد السودان بعد دزافون تدبغ فيها الجلود الغدامسية، ياقوت: معجم البلدان، م٣، ص٢٣٠.
- (٧٤) سقور، عبد السلام: الصحراء الموحدة أنماط التواصل بين الشعوب المطلة على الصحراء الكبرى، مجلة كلية الدعوة الاسلامية الجماهيرية، طرابلس، ١٩٩٨، ص٤٠٩.
- (٧٥) مجهول المؤلف: الحضارة الليبية والحضارات الشرقية في العصور القديمة، د/ط وزارة المعارف، طرابلس، د/ت، ص٨٦.
- (٧٦) لبد: مدينة بين برقة وافريقية وقيل بين طرابلس وجبل نفسه، وهي حصن من بنيان الحجر والأجر، ياقوت: معجم البلدان، م٥، ص١٠.
- (٧٧) اويبا: عرفت عند الاغريق (طرابلس Tripolis) على منطقة المدن الثلاث، كما سميت المنطقة أمبوريا، انديشة، أحمد محمد: التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، ط١، الدار الجماهيرية للنشر، مصراته، ١٩٩٣، ص١٥.
- (٧٨) أف غويتية: ماضي شمال أفريقيا، تعريب هاشم الحسيني، ط١، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، ١٩٧٠، ص٣٥، ٣٨، ٣٩.
- (٧٩) البونت: هي قرية من أعمال بلنسية ينسب اليها صاحب الوثائق المجموعة عبد الله بن فتوح، الحميري: الروض المعطار، ص١١٥.
- (٨٠) زيربو، جوزيف كي: تاريخ افريقيا السوداء، ص١٨٩.
- (٨١) هيرودوت «٤٨٥ - ٤٢٥» يعرف بأبو التاريخ، صنف كتابا جمع فيه ما دار من أحداث قبله وفي أيامه، لتسجيل تاريخ الشعوب والافراد، شامو، فرانسوا، الاغريق في برقة، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، ط١، منشورات جامعة قاريونس، ١٩٩٠، ص٣٦.
- (٨٢) محمد، ظاهر جاسم، التواصل العربي، ع١٨، ص٢٨.
- (٨٣) بستد، جيمس هنري: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة حسن كمال، ط٢، مكتبة مديولي، القاهرة، ١٩٩٦، ص٨٣.
- (٨٤) برنو: تحد بلاد التكرور من الشرق، ثم يكون حدها من الشمال بلاد افريقيه، ومن الجنون الهمج وقاعدتهم مدينة كاكاء، القلقشندي: صبح الاعشى، ج٥، ص٢٧٩.
- (٨٥) كانم: عمل متسع ممتد على جانبي نهر غانه المسمى بحر الحيشة وفي زيادته ونقصانه وافلاحة للأرض مثل نيل مصر. شيخ الربوة (شمس الدين أبي عبد الله الدمشقي): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر قام بطبعه المرجوم فرين، وصححه وطبعه أغشطس بن يحيى، د/ط، المحروسة، د/ت، ص٢٤٠.
- (٨٦) غانه: من بلاد السودان بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين وهي مدينتان على ضفتي البحر الحلو، وهي أكبر بلاد السودان وأهلها مسلمون ويخرج منها معدن الذهب وعندهم الابنوس الجيد، الحميري: الروض المعطار: ص٤٤٥.
- (٨٧) الصنغاي: من بلاد السودان وهي مدينتان على ضفتي النيل متصلتا إلى البحر المحيط، الحميري: الروض المعطار، ص٢٦٠.

- (٨٨) الطيبي، أمين توفيق: كاتم برنو بالسودان الأوسط، مجلة البحوث التاريخية، السنة العاشرة، ٢٤، مركز جهاد الليبي، ١٩٨٧، ص٧٢.
- (٨٩) الطيبي: الحبشة، ص ٢٧.
- (٩٠) الطيبي: المرجع نفسه، ص٢٨.
- (٩١) الطيبي: الحبشة ص ٢٨.
- (٩٢) المسعودي: مروج الذهب، م٢، ص٧.
- (٩٣) الطيبي، الحبشة، ص ٢٨، ٢٩.
- (٩٤) الطيبي، الحبشة، ص١٢٣.
- (٩٥) الطيبي: الحبشة، ص١٢٣.
- (٩٦) الطيبي: المرجع نفسه ص١٢٤، ١٢٥.
- (٩٧) الطيبي: الحبشة، ص١٢٤.
- (٩٨) مناع، محمد عبد الرازق، جولة في أفريقيا، ص٨.
- (٩٩) الطيبي: الحبشة، ص١٢٦.
- (١٠٠) الهمداني (الحسن بن أحمد بن يعقوب): صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الحولي، ط١، مكتبة الارشاد، صنعاء، الجمهورية اليمنية، ١٩٩٠، ص٧٧.
- (١٠١) ياقوت: معجم البلدان، م١، ص ٣٣٩.
- (١٠٢) الطيبي: الحبشة، ص ١٢٨.
- (١٠٣) الطيبي: الحبشة، ص ١٢٩.
- (١٠٤) المسعودي: مروج الذهب، م٢، ص٢٠.
- (١٠٥) الدالي، الهادي المبروك: التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء، ط٢، د/م، د/ت، ص٢٦.
- (١٠٦) الجيعوز لغة سامية تظهر بعض العناصر الكوشية القوية، وهي لغة سبأ، الطيبي، الحبشة، ٢٣.
- (١٠٧) الطيبي، المرجع نفسه، ص ٢٣، ٢٤.
- (١٠٨) وفيلسون، ديفيد: علم الآثار الافريقي، ترجمة أسامة النور، د/ط، منشورات ELGA، فاليتا، مالطا، ٢٠٠٢، ص٢٨٧.
- (١٠٩) الطيبي: الحبشة، ص ١٢٧.
- (١١٠) الفاسي (الحسن بن محمد الوزان): وصف افريقيا، تحقيق محمد صبحي، محمد الأخضر، ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٩٣، ص ٣٩.
- (١١١) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشاء، ج٥، ص ٣٠٧.
- (١١٢) المسعودي، مروج الذهب، م٢، ص٧.
- (١١٣) الدالي: التاريخ الحضاري لافريقيا، ص٣٠.
- (١١٤) الدالي: التاريخ الحضاري لافريقيا، ص٣١، ٣٢.
- (١١٥) الدالي: المرجع نفسه، ص٣٤.
- (١١٦) الدالي: التاريخ الحضاري لافريقيا، ص٣٥.
- (١١٧) الدالي: المرجع نفسه، ص ٣٦.
- (١١٨) الطيبي: الحبشة، ص ٣٣.
- (١١٩) الطيبي: المرجع نفسه، ص٣٦، ٣٧.
- (١٢٠) زاهر رياض: تاريخ اثيوبيا، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٣٥، ٣٦.
- (١٢١) الطيبي: الحبشة، ص ٣٧.
- (١٢٢) البكري: المسالك والممالك، ص ٣٢٦.
- (١٢٣) الدالي: التاريخ الحضاري لافريقيا، ص٧١.
- (١٢٤) الدالي: المرجع نفسه، ص٧٢.
- (١٢٥) الدالي: التاريخ الحضاري لافريقيا، ص٧٣.
- (١٢٦) الدالي: التاريخ الحضاري لافريقيا، ص٧٤.
- (١٢٧) دافسن: افريقيا تحت أضواء جديدة، ص ٥٩.
- (١٢٨) الدالي: التاريخ الحضاري لافريقيا، ص٧٥.
- (١٢٩) الدالي: المرجع نفسه، ص٧٥، ٧٦.

- (١٣٠) دافسن: افريقيا تحت أضواء جديدة، ص ٥٧.
- (١٣١) الدالي: التاريخ الحضاري لافريقيا، ص ٤٧.
- (١٣٢) وفيليسون، ديفيد: علم الآثار الافريقي، ص ٢٨٧، ٢٩٥.
- (١٣٣) دافسن: افريقيا تتح أضواء جديدة، ص ٢٩٢.
- (١٣٤) ابن بطوطة (محمد عبد الله اللواتي الطنجي): رحلة ابن بطوطة، تحقيق كرم البستاني، د/ط، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠، ص ٦٩٦.
- (١٣٥) الفلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥، ص ٨٨.
- (١٣٦) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٦٩٦.
- (١٣٧) ابن بطوطة: المرجع نفسه، ص ٦٨٠.
- (١٣٨) القطانيا: نوع من الذرة ذات حجم صغير، ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٦٧٩.
- (١٣٩) كوكو: هو الاقليم الرابع من المملكة (مالي) يقع شرق مالي، له ملك والملك له حشم وقادة وجنود ويركبون الخيل والابل ولهم قوة رهيبه يخشى جيرانهم بأسهم، الفلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٨٥.
- (١٤٠) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٦٧٩، ٦٨٠.
- (١٤١) ابن بطوطة: المرجع نفسه، ص ٦٨١.
- (١٤٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٦٨١.
- (١٤٣) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ص ٦٧٤.
- (١٤٤) الفلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٨٨.
- (١٤٥) الفلقشندي: المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٨٦.
- (١٤٦) الفلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٨٧.
- (١٤٧) الفلقشندي: المصدر نفسه، ص ٢٨٧.
- (١٤٨) وفيليسون، ديفيد: علم الآثار الافريقي، ص ٢٨٣.
- (١٤٩) وفيليسون: المرجع نفسه، ص ٢٨٣.
- (١٥٠) الفلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٨٨.
- (١٥١) وفيليسون، علم الآثار الافريقي، ص ٢٨٤.
- (١٥٢) الفلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٨٩.
- (١٥٣) وفيليسون: علم الآثار الافريقي، ص ٢٨٧.
- (١٥٤) وفيليسون: المرجع نفسه، ص ٢٨٨.
- (١٥٥) زيربو، جوزيف كي: تاريخ افريقيا السوداء، ص ١٠٦، ١٠٧.
- (١٥٦) ديفسن، بازل: افريقيا تحت أضواء جديدة، ص ٩٨-١٦٥.
- (١٥٧) الفلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٨٩.
- (١٥٨) الفلقشندي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٩٠.
- (١٥٩) ولقد ورد أن هناك طريقة أخرى للحصول على الذهب من مالي عن طريق الافاعي التي تقطن في حجور قرب النهر عند خروجها من حجورها تملأ أفواهاها بالرمال المختلط بالذهب فتضعه في رعيها فيقوم الاهالي بأخذه، فإن مسألة كون الذهب نباتا أسطورة. الفلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٩٠.
- (١٦٠) الفلقشندي: المصدر نفسه، ص ٢٩٠.
- (١٦١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٦٩٧، ٦٩٨.
- (١٦٢) الفلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٩١.
- (١٦٣) البكري، ابو عبيد: المسالك والممالك، ج ١، ص ٣٢١، ٣٢٥.
- (١٦٤) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٢٥٣.
- (١٦٥) المشري، عمر محمد، بلاد القرن الافريقي، ص ٢٠٥.
- (١٦٦) المشري، عمر محمد، المرجع نفسه، ص ٢٠٦.
- (١٦٧) المشري عمر محمد: بلاد القرن الافريقي، ص ٢٠٧.
- (١٦٨) حوراني، جورج فضلو: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، د/ط، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٩٦.
- (١٦٩) المشري، عمر محمد: بلاد القرن الافريقي، ص ٢٠٨.
- (١٧٠) حوراني: العرب والملاحة، ص ١٩٠ - ١٩١.

- (١٧١) المشري، عمر محمد: بلاد القرن الإفريقي، ص ٢٠٩.
- (١٧٢) أ.ف. غويتيه: ماضي شمال إفريقيا، ص ٤٠.
- (١٧٣) أ.ف. غويتيه: ماضي شمال إفريقيا، ص ٤٠.
- (١٧٤) نقارة، في أرض السودان قريية من غانه، والنيل يحيط بها من كل جهة في سائر السنة، وأهلها أغنياء، والخيرات مجلوبة اليهم من أطراف الأرض، الحميري: الروض المعطار، ص ٦١١.
- (١٧٥) غياورا: في بلاد السودان، بينها وبين غانه نحو عشرين يوماً، وبين مدينة غياور والنيل اثنا عشر ميلاً، وفيها كثير من المسلمين، الحميري: الروض المعطار، ص ٤٢٧.
- (١٧٦) كوغه: مدينة بينها وبين غانه من بلاد السودان المغرب خمسة عشر يوماً على النيل وهي من عماله نقاره ومن السودان، من يجعلها كانم، وهي مدينة عامرة لا سور لها، الحميري: الروض المعطار، ص ٥٠٤.
- (١٧٧) المشري، عمر محمد: بلاد القرن الإفريقي، ص ٢١٠، ٢١١.
- (١٧٨) أ.ف. غويتيه: ماضي شمال إفريقيا، ص ٤١.
- (١٧٩) تادمكه: في بلاد السودان، وهي أشبه بلاد الدنيا بمكة شرفها الله تعالى، ومعنى تاد عندهم هيئة أي هيئة مكة، وهي منيعة كبيرة بين جبال وشعاب، وهي أحسن بناء من مدينة غانه وكوكو وبين تادمكه وغانه خمسين مرحلة، الحميري: الروض المعطار، ص ١٢٩، ١٢٨.
- (١٨٠) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٦٩٨.
- (١٨١) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ص ٦٨٠.
- (١٨٢) المشري، عمر محمد: بلاد القرن الإفريقي، ص ٢١٢.
- (١٨٣) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٦٨٠.
- (١٨٤) المشري، عمر محمد: بلاد القرن الإفريقي، ص ٢١٢، ٢١٣.
- (١٨٥) البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٣٢٥، ٣٢٧.
- (١٨٦) المشري، عمر محمد: بلاد القرن الإفريقي، ص ٢١٦.
- (١٨٧) ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ص ٤٩.
- (١٨٨) ابن حوقل: المصدر نفسه، ص ٤٩، ٥٠.